

المدرسة العليا للأساتذة: أم البواقي

مادة: البلاغة العربية

المحور الأول: علم البلاغة: الماهية:

مدخل نظري: -تعريف البلاغة لغة واصطلاحاً/ تعريف الفصاحة لغة واصطلاحاً/ شروط الفصاحة/ بين البلاغة والفصاحة/ شروط البلاغة/ بلاغة المتكلم/ بلاغة الكلام.

أولاً تعريف البلاغة لغة واصطلاحاً:

1/لغة:

البلاغة في اللغة (الوصول والانتهاء)، تقول العرب: بلغ فلان مراده؛ إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها، ومبلغ الشيء منتهاه، وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ؛ إذا أحسن التعبير عما في نفسه.

2/اصطلاحاً:

عرّفها "الخطيب القزويني" بقوله: "أنّ البلاغة تقع صفة للكلام وللمتكلم، فأما بلاغة الكلام فهي: "مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته". وأما بلاغة المتكلم فهي: ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ".
كما عرّفها "الآمدي": "بأنّها إصابة المعنى، وإدراك الغرض بألفاظ سهلة مستعملة سليمة من التكلف لا تبلغ الهدر الزائد عن الحاجة، ولا تنقص نقصاناً دون الغاية".

ثانياً/ تعريف الفصاحة لغة واصطلاحاً:

وجد مصطلح البلاغة في القرآن الكريم، وكان صفة للمتكلم، وذلك في قوله تعالى: "وأخي هارون هو أفصح مني لساناً" القصص، آ34.

1/لغة:

تقول العرب: أفصح الصّبح إذا ظهر، وأفصح اللّبن إذا أصبح تحوّله من حالة إلى أخرى واضحة، والكلام الفصيح ما كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيّد السّبك، ولهذا وجب أن تكون كلّ كلمة فيه جارية على القياس الصّرفي، بيّنة في معناها، مفهومة عذبة سلسلة، مثال على ذلك: قول المتنبي:

فلا يبرم الأمر الذي هو حائل +++++ولا يحلل الأمر الذي هو مبرم.

هذا البيت غير فصيح لأنه اشتمل على كلمتين غير جاريتين على القياس الصّرفي، وهما: حائل، ويحل؛ فإنّ القياس: حال، ويحلّ، بالإدغام.

2/ اصطلاحاً:

يعدّ "الجاحظ" أوّل من سجّل البداية المتميّزة لهذا المصطلح في كتابه: البيان والتبيين، حيث:-
أورد الآية الكريمة السابقة الذكر؛ "وأخي هارون هو أفصح منّي لساناً"، القصص، آ34. وعلّق عليها قائلاً: "رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجّة والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعناق إليه أميل والعقول عنه أفهم والنقوس إليه أسرع".

-استخدمه صفة للألفاظ التي تتفاوت درجات استعمالها، فهناك المستعمل ولكنّه غير شائع، والشائع هو الذي وصفه الجاحظ بالفصاحة لأنه يعكس لغة القرآن الكريم، ونعثر على هذا فيما أورده عن قول أبي سعيد لابن منذر في المفاضلة بين الألفاظ، حيث يقول: "ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة، إنّما الفصاحة لنا أهل مكّة"، فقال له ابن منذر: "أمّا ألفاظنا فأحكى لألفاظ القرآن الكريم، وأكثرها له موافقة، فضعوا القرآن حيث شئتم، أنتم تسمّون القدر برمة، وتجمعون البرمة على برام، ونحن نقول: قدر ونجمعها على قدور، وقال تعالى: "وجفان كالجواب وقدور راسيات"، سبأ، آ13. وأنتم تسمّون البيت إذا كان فوق البيت عليه، وتجمعون هذا الاسم على علالي، ونحن نسّميه غرفة، ونجمعها على غرفات، وغرف، وقال تعالى: "غرف من فوقها غرف مبنية"، الزمر، آ20. وقال أيضاً: "هم في الغرفات آمنون"، سبأ، آ37.

-ورد لفظ الفصاحة كذلك صفة للغة التي تسير على القواعد ومراعاة القياس وطرق التعبير.
-استخدامها صفة للألفاظ التي تخلو من تنافر حروفها، ومن ذلك قوله: "من ألفاظ العرب ما تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر، لم يستطع المنشد إنشادها إلّا ببعض الاستكراه، فمن ذلك قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر+++++وليس قرب قبر حرب قبر".

ثالثاً/ شروط الفصاحة:

تنقسم إلى: 1/ فصاحة الكلام و2/ فصاحة المتكلم (حسب القزويني)

1/ فصاحة الكلام: وتنقسم بدورها إلى: أ/ فصاحة المفرد ب/ فصاحة التركيب.

أ/ فصاحة المفرد:

-أن يكون خالياً من تنافر الحروف، مثل قول الأعرابي: تركت ناقتي ترعى الهعخع. كذلك قول امرئ القيس وهو يصف شعر ابنة عمه:

غداًه مستشزرات إلى العلا+++++تظلّ العقاص في مثني ومرسل.

-ألاً يكون غريباً، لا يظهر معناه إلا بالرجوع إلى المعجم كقول عيسى بن عمرو النحوي عندما سقط عن دابته واجتمع الناس حوله: "مالك تكأتم عليّ كتكأكم على ذي جنة؟ افرنقوا عني".

-مخالفة القياس: مثل قول أبي النجم:

الحمد لله العليّ الأجل+++++الواحد الفرد القديم الأول.

ب/ فصاحة التركيب: حصرها في ثلاثة مظاهر:

-ضعف التأليف: أن يكون الكلام جارياً خلاف ما اشتهر من قوانين النحو: كوصل الضميرين، تقديم غير الأعراف على الأعراف...، كقول المتنبي:

خلت البلاد من الغزاة ليلها+++++فأعاضهاك الله كي لا تحزنا.

-تنافر الكلمات: وهو ما ينتج عنه ضعف التأليف، ثقل على اللسان، عسر النطق، مثل قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر+++++وليس قرب قبر حرب قبر.

-التعقيد: وينقسم بدوره إلى قسمين: -التعقيد اللفظي، -التعقيد المعنوي

-التعقيد اللفظي: هو كون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد به، حيث تكون الألفاظ غير مرتبة وفق ترتيب المعاني، وينشأ ذلك التعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض (كالصفة والموصوف، البذل والمبدل منه، المبتدأ والخبر، المستثنى والمستثنى منه...)، وهو مذموم لأنه يوجب اختلال المعنى واضطرابه، من وضع الألفاظ في غير المواضع اللائقة بها، كقول المتنبي:

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم+++++شيم على الحسب الأغر دلائل.

-التعقيد المعنوي: كون الترتيب خفي الدلالة على المعنى المراد، حيث لا يفهم معناه إلا بعد عناء وتفكير طويل، وذلك لحدوث خلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود، بسبب إيراد اللوازم البعيدة، المفتقرة إلى وسائط كثيرة، مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود، بأن يكون فهم المعنى الثاني من الأول بعيد، كما في قول: عباس بن الأحنف:

سأطلب بعد الدّار عنكم لتقربوا++++++وتسكب عيناى الدّموع لتجمدا.

جعل سكب الدّموع كناية عمّا يلزم في فراق الأحبة من الحزن والكمد، فأحسن وأصاب في ذلك، لكنّه أخطأ في جعل جمود العين كناية عمّا يوجبّه التّلاقي من الفرح والسّرور، بقرب أحبّته، فهو معنى خفي وبعيد، إذ لم يعرف في كلام العرب عند الدّعاء لشخص بالسّرور أن يقال له جمدت عينك، أو لا زالت عينك جامدة، بل المعروف عندهم أنّ جمود العين إنّما يكتنّى به عن عدم البكاء في حالة الحزن، كما في قول الخنساء:

أعيني جودا ولا تجمدا++++++ألا تبكيان لصخر النّدى.

كان هذا كلّه عن فصاحة الكلام.

-**فصاحة المتكلّم:** هي عبارة عن ملكة يقدر بها المتكلّم على التّعبير عن المقصود بكلام فصيح في أيّ غرض كان، فيكون قادرا على صياغة الكلام متمكّنا من التّصرّف في ضروبه، بصيرا بالخوض في جهاته ومناحيه.

4/ بين البلاغة والفصاحة:

من بين العلماء الذين تحدّثوا عن علاقة البلاغة بالفصاحة، نذكر ثلاثة علماء بارزين:

-ابن سنان الخفاجيّ (423هـ/466هـ)

-الجرجاني عبد القاهر (400هـ/471هـ)

-الخطيب القزوينيّ (666هـ/739هـ)

-ابن سنان الخفاجيّ: في كتابه "سرّ الفصاحة"، حيث قصر الفصاحة على وصف الألفاظ فقط، أمّا البلاغة فهي تختصّ بوصف الألفاظ مع المعاني.

-الجرجاني: تردّ عنده الفصاحة والبلاغة والبيان بنفس المعنى.

-القزوينيّ: بعد حديث مجمل عن الفصاحة والبلاغة انتقل إلى الحديث عن فصاحة الكلام وفصاحة المتكلّم، والبلاغة عنده تعني: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"، وهو التّعريف الذي استقرت عليه البلاغة العربيّة إلى عصرنا الحالي.

***ملاحظة:** باقي العناصر في المحاضرة استنتاجية؛ يستخرجها الطالب بنفسه.